قصائد

محمّد القيسي

في الثناء على
ما تبقّى

[إلى جوزف حرب في «مملكة الخبز والورد»]

في مَرايَا مِنَ الضَوْءِ أَمشي
وَأَعرفُ
لا منزلي
لَائِقٌ،
أَو سُعَاتي
يُعينُونَني في الطَريقِ إلى عَسَلِ المجدليَّةِ،
بَيْنَا أُسوِّي مَعَ الريحِ بَرِيَّةً،
لِرُعَاةٍ مَضَوْا في شَفيفِ النهارِ،
حَزينينَ جدًّا
إلى قَوْسِ أَيامِهِمْ في كَنيسةِ قلبي
وَليتَ مِنَ الوقتِ لي
لِأَرِشَّ على السُّورِ ماءَ الثناءِ على
ما تبقَّى
وأَفردَ شالَ الضُحى لِملاكي.

عمان ١٤/١٢/١٩٩٢

مشاريع مرجأة

قَريباً مِنَ المدفأَهْ
قريباً مِنَ اليومِ والأَمسِ
يُحصي يديه، وقدْ فَاجَأَهْ
شتاءٌ عَلى غَفلةٍ
وَرُؤىً مُطْفَأَهْ

قَريباً مِنَ المدفأَهْ
يُخَطِّطُ فوقَ البياضِ حُدودَ بَساتينه،
وَيَرى فوقَ طَبْليَّةِ البَيتِ،
كُوباً وَحيداً
وَإبريقَ شَايٍ
وَثَمَّ كتابٌ يُحاولُ أَنْ يَقْرَأَهْ

قريباً مِنَ المدفأَهْ
تَسلَّلَ خيطُ النُعاسِ إليه وَأَغفَى
بلا وَلَدٍ،
تحتَ سَقفِ يَديه وَأَغفَى
وَلا إمرأَهْ

قَريباً مِنَ المدفأَهْ
سيلفظ آخر أَنفاسِهِ،
وَتظلُّ جميعُ مشاريعِهِ مُرجأَهْ.

الرصيفة ٩/١/١٩٩٣

الابن

مُفعَمٌ بِرُؤَاهْ
تنسجُ الريحُ شَالاً لِأَيَامِهِ،
وَهوَ يُوغِلُ أَبعدَ في الدغْلِ،
أَبعدَ في الليلِ،
أَبعدَ فيه بِقُطعانِهِ البيضِ
لا ماءَ في قِرْبَةِ الأَرضِ
وَالأُفقُ بعضُ خُطاهْ

[١] قصائد منتخبة من مجموعة شعريّة تصدر عن دار الآداب قريباً تحت عنوان «أذهب لأرى وجهي».

رِيشَةً
رِيشةً
يَتوزَّعُ
مُتَشِحاً
بِضِيَاهْ

عمان ١٩٩٢/١٢/٢٠

خضرتها البعيدة
من بعيد كرومها

وأُريدُ أَحياناً، كثيراً ما أُريدُ
أُريدُ ناساً يُشعلونَ خواصري
وَيكبكبونَ عَلى ضُلوعي
مِنْ عتيقِ نَبيذِهمْ
سِحْرَ الجِرَارْ

وَأُريدُ خُضرتَهَا البَعيدةَ منْ بعيدِ كُرومِهَا
وَأُريدُ يومي كاملَ الشُرُفاتِ
تَبغي صَافياً
وَأُريدُ في هَذا المَدارْ

أَنْ تَتركوني نَائماً حتى الضُحى
لَأرى ملاكَ الغَائِبينَ يرفُّ حَوْلي
في الجِوارْ

وَأُريدُ أَنْ
أَدَعَ الكِتابةَ هكذا
تجري عَلى كَفّي
وَأَفتحَ بابَ بَيتي لِلنَهارْ

عمان ١٩٩٢/١٠/٣٠

دع الشرفة لي

هَلْ نتَقَاسمُ هَذا الميراثْ
خُذْ أَنت الزَوجةَ والبيتَ، خُذِ الأَولادْ
وَدَعِ الشُرْفَةِ لي

خُذْ مفتاحَ البابِ وَخُذْ غُرَفَ النَومِ،
وَدَعْني فوقَ السُّورْ
أَتأمّلُ هَذي الزَهْرَهْ

خُذْ أَقواسَ الزينةِ وَالألوانِ
وَخُذْ ماءَ البُستانِ
وكيسَ اللَوْزِ
وَدَعْني أَمْرَضْ
في الوجهِ الأَبيضْ

خُذْ ضَوْءَ الميناءِ،
وَدَعْ لي هَذا القاربْ
وَلنفترقِ الآنْ.

عمان ١٩٩٢/١١/١٠

غياب

جَلستُ في المقهى لِسَاعتينْ
جَلستُ حارساً غيابَها
أَحكُّ أَطرافي بِفَرْوَةِ الهواءِ
لَا يَرنُّ قُرطُها
وَلا أَرِنْ

وَإِذْ بكى عَلى يَديَّ النايُ وَارتَوى
صَبَابَةً
وَبَيْنْ

لمحتُها بجانبي ـ أو أنَّني أظنْ ـ
شَفيفةً كالماءِ لَلَمتْ أشياءَهَا
وَغَادرتْ
كَالسهمِ دونَ إذْنْ

عمان ٣١/١٠/١٩٩٢

نقش لوركا

ولاَ جيرانَ لي كَالبحرِ
لا جيرانَ لي يتقاسمونَ معي الضُحى
ظِلٌّ عَلى الطُرُقاتِ فَوَّاحٌ
وَفضَّتُهمْ إلى النسيانِ
هل أسعى إليَّ
وَاقتفي في العَازفينَ رَنينَ قلبي!
لا ضيوفَ إلى الشَوارعِ ، أو
مَقَاهٍ لِلبُكاءِ الدَاخليِّ
وَلا حُدَاةٌ
يَشبكونَ الليلَ بِالإنشادِ
هلْ صَدَأتْ على الأوتارِ أُغنيةُ المريضِ
أنا المريضُ أنا
فَوآأسفاهُ لم تَعُدِ المدينةُ للهواءِ
ولَمْ يَعُدْ غَجَرٌ،
يُضيئونَ اللآلِيءَ أو
يُشيعونَ السَلاسَةَ في الحريرِ،
وَإخوتي مَاتوا.

عمان ٢٠/٦/١٩٩٢

الجليس

وَحَضَرْتَ منْ أقصى الغُصونِ إليكَ،
منْ آبارِ نَومِكَ
مَنْ يُبادلُك الإشارةَ يا جَليسي!
هَا هُنا كُوبانِ ما فَرُغَا مِنَ الليمونِ بَعْدُ،
ومَا نَطَقْتَ وَلا صَمَتَّ،
كَأَنَّ قِنديلَ الغِيابِ أَضَاءَ سِرَّكَ،
فَانخطَفتَ، غَدَوْتَ خَطَّاً مائِلاً لِلغَيبِ،
أُسبوعَانِ في السَفرِ الطَويلِ إلى الطُلولِ،
وَلا يَعودُ عَرارُهَا الجَبَليُّ
غَيمتُكَ البَعيدةُ في قميصكَ!
ليسَ في أُصُصِ الفَراغِ سوى الفَراغِ،
وَأنتَ تدعوني وَأَخرجُ، ثم تدعوني
وَتَخرجُ عن مُجالَستي
فَيُذبلُني المكانْ!

عمان ٢٥/٨/١٩٩٢

نقش سومريّ

يَسقطُ الظِلُّ على وَاجهةِ الفُندقِ
فيما امرأةُ الفضَّةِ
ترعى زهرةَ النسيانِ
أو تجرحُ خدَّ الريحِ
لا تحظى بِضَوءٍ أو سَبَبْ

كَذَبَ الوردُ عليها مرَّةً
ثُمَ كَذَبْ

وَهيَ تَسترسلُ عندَ البابِ نقشاً سُومريّاً
ياسميناً أبيضَ الرّوحِ
نَشيجاً صَافياً يُتْلَى
وَنَايَاتِ قَصَبْ

بَينما زَائرُها اليَوميُّ منْ يَومينِ
لَمْ يظهرْ على الشَارعِ
لَمْ يفردْ لها
منْ شُرفةٍ في الطابقِ السَادسِ منديلاً
وَلا تعرفُ أيَّانَ ذَهَبْ.

عمان ٢٧/٢/١٩٩٢